هل تساءلنا يوماً، لماذا لا يستطيع البعض تحقيق الاستقرار النفسي في حياتهم؟ ذلك الاستقرار الذي يُشعِرُ الفرد براحة وسعادة وطاقة على التوسّع والنجاح حياتياً. البعض يرى أنّ تحقيق الاستقرار يهجع في الزواج، والبعض الآخر بالثبات في العمل وديمومة المدخول المادي. فيما هناك من ينفي واقع الاستقرار ويعزو السبب إلى تقلّب الأحوال والظروف التي من شأنها إبقاء المرء في حالة تقلبات نفسية وحياتية مستمرّة.

بقلم: زياد شهاب الدين
www.esoteric-lebanon.org

من منظور علوم الإيزوتيريك

الاستقرار الداخلي

ممّا لا شكّ فيه أنّ تحقيق الاكتفاء المادي والمشاعري عبر العمل والزواج يساعدان على تحقيق نوع من الاستقرار. لكن نقول بصراحة، كم من ثريّ على استعداد لوهب جزء كبير من ثروته مقابل أن ينعم بقسط من الطمأنينة الداخلية والاستقرار النفسي؟! وكم من زواج غاب الاستقرار عنه إما نتيجة الاختيار الخاطئ أو غياب الانسجام والمشاركة والمصارحة بين الزوجين إلى ما هنالك من أسباب حياتية أخرى؟!

إنّ علوم إنسانية الإنسان - علوم الإيزوتيريك تشدّد على ان الاستقرار يستحيل أن يتحقق إن لم يكن نابعا من باطن النفس البشرية. فالاستقرار الحق هو الاستقرار على صعيد الجسد والمشاعر والفكر الذي ينعكس تلقائياً استقرارا في المناحي الحياتية كافة.

ربّ سائل: كيف يمكن للمرء تحقيق الاستقرار النفسي، (فكرياً ومشاعرياً)، والنفس بحد ذاتها متقلبة الأهواء وفق الظروف، التجارب، وبحسب ميزان التصرفات الإيجابية والخاطئة؟!

لقد بات متتبعو علوم الإيزوتيريك على دراية بأنّ الإنسان مكوّن من سبعة أجهزة وعي بدءاً من الجسد، فالجسم الأثيري (aura) - جسم الصحة في الإنسان، يليها المشاعر فالعقل بقسميه الأدنى والأعلى، (وما الفكر سوى القسم الناشط من العقل الأدنى)، فالمحبة، الإرادة، وصولاً للروح كأسمى بعد في الإنسان. فالجسد، المشاعر، والفكر(العقل الأدنى) يشكلون النفس البشرية. فيما القسم الأعلى من العقل، المحبة، الإرادة، والروح يشكلون الذات الإنسانية في الإنسان، علماً أن الذات مشحونة بهدف محدد ومبادئ ثابتة لا تتغير، والنفس معرضة للتحوّل والتغيّر. فإن وعى المرء هذه الحقيقة، ووجّه إرادته باتجاه ترويض الفكر والمشاعر والجسد وفق متطلبات الذات، مبادئها وهدفها.. ينجح في الحدّ أو السيطرة على تقلبات النفس، وتصبح النفس أكثر استقرارا، فتعمل باتجاه هدف محدد ووفق مبادئ ثابتة كما ذكرنا سابقاً. حينها ينعم المرء بالاستقرار النفسي والحياتي بشكل عام.

إن هدف الإنسان على الأرض هو التطور في الوعي عبر تطبيق المعرفة حياتياً، وإفادة الآخرين من الخبرات والتوصلات الشخصية. هذا إضافة إلى تحقيق التوازن بين الفكر والمشاعر والجسد عملياً عبر إعطاء كل حق حقه في الحياة. فللجسد حقّ علينا من خلال الاعتناء بصحته وتوفير الراحة اللازمة له. وللمشاعر حقّ علينا من خلال تنقيتها من الشوائب السلبية كالغضب، القلق، الخوف، الكره، الحقد وغيرها من الصفات الضارة، ثم تغذيتها بمشاعر الحب، المحبة والخير العام والخاص المرتكز على تفتيح الحس الإنساني في النفس وتنويع أعمالها بحسن التصرف مع الآخرين.. أخيراً يبقى حق الفكر علينا، وضرورة إزالة السلبيات منه كالتفكير الخاطئ الذي قد يتمظهر في التخطيط الأناني، وفي الانغلاق والتعصب، الانتقاد والحكم على الآخرين، إلخ... وضرورة تغذيته بالمعرفة وتمرينه على قاعدة التفكير السليمة - القاعدة الرباعية - أي تفكير، تحليل، تمييز، فاستنتاج ضمن التوجّه الإيجابي طبعاً.

يبقى الدواء الأنجع للتحقيق الاستقرار النفسي، هو السعي لتحقيق الحب الواعي في حياة المرء. الحب الذي يحقق التناغم بين أجهزة وعي النفس والانسجام بين الحبيبين.. أيضاً سر الاستقرار الحق في الحياة الزوجية كما يشرحه بإسهاب كتاب الإيزوتيريك «تعرف إلى الحب» بقلم د. جوزيف مجدلاني. هذا كلّه يضاف إلى أهمية توفر الاكتفاء المادي من خلال عمل مستقر ذات مردود كافٍ يستحوذ على محبة الفرد له.

هذا كله يبقى غيضا من فيض مما تقدمه علوم الإيزوتيريك من أجل تحقيق هدف الإنسان عامةً - الوعي، والاستقرار الحياتي. إنّ التطبيق العملي الحياتي لما جاء ذكره آنفاً يبقى بوابة العبور ليختبر كل فرد بنفسه ما ذكر آنفا، بغية الوصول إلى الاستقرار الداخلي الذي لا بد وأن ينعكس استقرارا على كافة الأصعدة.

خلاصةً، الاستقرار الحق هو سعي دائم إلى التفوّق على كافة المستويات والأصعدة، وليس على الصعيد المادي فحسب. هو ليس قناعة بما توصّل إليه المرء من إنجازات، بل حركة تطوّر تصاعدية مستمرة وثابتة الخطى. الاستقرار ليس غياب التجربة، بل النجاح الدائم بتخطيها. وهو ليس راحة مادية بقدر ما هو اطمئنان وسلام داخلي..

تبقى المعرفة، المعرفة الحق، العرس الأبدي للنفس البشرية، عرس ينعكس سعادةً، راحةً، اطمئناناً، وطبعاً استقرارا و سلاماً داخلياً.